JAUES

Journal of Al Azhar University Engineering Sector

Vol. 13, No. 47, April 2018, 783- 789

المحلية فى العمارة " استقـراء للمنهج "

محمد عبده إدريس
قسم العمارة ـ المعهد العالى للهندسة " 15 مايو "

ABSTRACT
It is feared that urbanism which thoroughly stems from local indigenous values would stay at the bottom. While urbanism concepts, elements, or technologies could cut off from local values and in turn would fail to satisfy the environmentally, community, and people's needs. Dealing varies of architects with the determinants and the different criteria followed for their directions and their range of effect in the surrounding environment. The environmental circumstances and tha evaluators of social differ from place to another so the architectural and urbanism elements are differing according to it. Therefore, a study is urgently needed to investigate, understand, and then create an analytical process to help architecture and urban specialists.

مقدمة

بالرغم من كـون مصطلح الوطنية فى العمارة والعمران أحد المصطلحات المستحـدثة، إلا أن المواصفات أو المبادئ التى يقاس عليها مدى وطنية العمارة أو العمران هى مواصفات وأسـس جودة وملائمة وجمال العمارة والعمران، وتناغمهما وتلاحمهما مع البيئة الطبيعية والانسانية المحيطة بهم، حيث أنه لتصنيف العمارة والعمران بالوطنى يجب أن تكون العمارة وجميع مفردات العمران نابعة من الحيز المقامة عليه من حيث الشكل والوظيفة والمضمون، وربما الفكر وأدوات وخامات البناء أيضا. فمثلاً إذا أجرينا هذا القياس على طرز العمارة والعمران على مر العصور فى مصر باعتبارها حيزاً عمرانياً شديد الخصوصية، نجد أن تلك السمات تنطبق على العمارة الفرعـونية أو المصرية القديمة، حيث أن طرز العمارة ومفردات العمران صيغت فيها لتلبية الاحتياجات الانسانية ، النابعة والمتأثرة بالمناخ الثقافى والدينى والسياسى السائد فى ذلك الحيز المقام عليه العمران، كما أنها صيغت من خلال فكـر وأدوات وخامات من ذات الكيان .

ثبت تاريخياً أن العـديد من الطـرز والتوجهات العمـرانية والمعمارية ذات المبادئ والأفكار الوطنية حققت بالفعل غايتها ، على أقصى درجات التناغم والتوائم مع البيئة المحيطة ، بكل عواملها الطبيعية والانسـانية ، وبالتالى صنفت كأحد أنجح الطـرز عمرانياً وإحتلت الريادة عـالمياً .

من البديهى أنه لكى يوجد عمارة وعمران يجب أن يتواجد إنسان حى داخل بيئةٍ ما ، وبالتالى وبما أن الحياة تعنى احتياجات وممارسات وأنشطة، فحتماً سيتفاعل الانسان مع البيئة المحيطة به، ومن خلال التجربة ثبت يقيناً أن الناتج الأكـبر لهذا التفاعل هـو العمران، وما به من عناصر وما يتبعه من مظاهر وآثار .

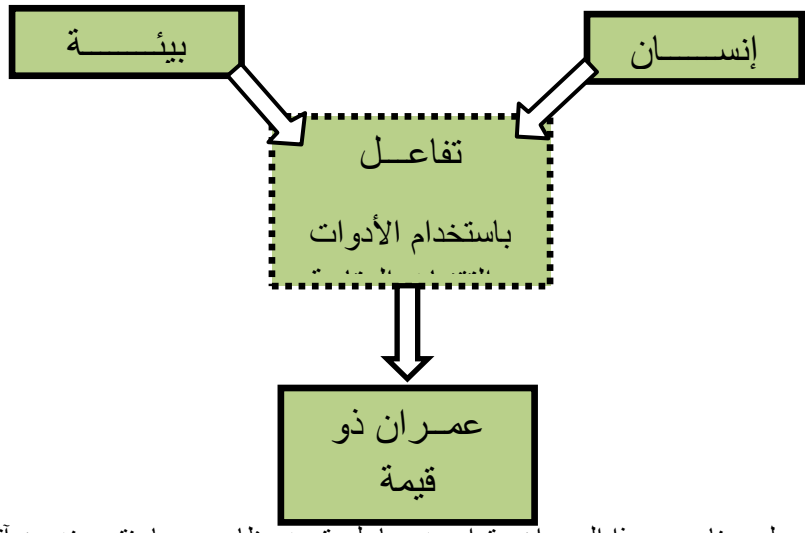

بالقطع لا يمكن الحكم على عناصر هذا العمران وتوابعـه وما يلحق به مظاهـر وما ينتج عنه من آثار بالتوافق التـام مع أحد طـرفى المعادلة ، أو بالتوازن بين عناصـر المنظومة ككل ، فربما يكون هذا العمـران أو أحد متعلقاته هو تخـريب ، وأحياناً يكـون التخريب فى حـد ذاته عمـراناً ، وإن كان عمـراناً إلا أنه ذو آثار سلبية كبيرة ، كالمدابغ أوالمبانى الصناعية داخل الكتل السكنية مثلاً .

وبما أن العمـران هو منتج هام من منتجات تفاعل الإنسان والبيئة ، وفى إطار السعى الحياتى نحو المثالية ، فإن كل منتجات هذا التفاعل يتم اخراجها بما يحقق أعلى معدل ممكن من الملائمة للظروف المحيطة ، من نفس المنطلق نجد أن العمـران يجب أن ينتمى ويحترم كلا من الانسان والبيئة المحيطة فى الوقت ذاته.

هذا الانتمـاء والانسجام يعنى الانخراط فى المنظومة ككل، من حيث تلبية الاحتياجات، والاستفـادة من الميزات، واحترام المحددات ، من هذا المنطلق وقياساً على المعانى اللغوية والتطبيقية والمعنوية لصفة الوطـنية أو المواطنة يمكن وصف العمران وعناصره بالوطنية أو لا ، طبقاً لمدى انتمائه الانسانى والبيئى .

بالتالى وبناءاًعلى ذلك يمكن تحديد سمات ومقومات العمارة أو العمران المحلى الذى يعكس حقيقة ومستوى الانسان الذى اقام العمران فى بيئته كما يلى سرده .

ـ مقومات وسمات العمارة المحلية

لتنطبق صفة المحلية على العمـارة والعمـران يجب أن تصاغ العمارة ومفردات العمران أو أن يصاغا إجمالاً من خلال مجموعة من العناصر والتوجهات الخاصة بالمكان ، أو تشكيلات تقليدية، أو بيئية ولدت أصلاً فى محيط ذلك الحـيز الجارى عليه عمليات العمران ، أو يصاغا من غيرها التى وفدت إلى نفس الحيز، ولكن تم توطينها بنجاح شديد ، لدرجةٍ تحولها إلى أجزاء من العمران القائم منسجمة مع نسيجه ، وبالتالى أصبحت أحد عناصر ومفردات العمـارة المحلية .

حيث أن ما يتم توطينه من عناصر ومفردات معمارية وعمرانية يمكن أن يصبح مع الزمن من ملامح العمارة المحلية .

وبما أن العمـارة الوطـنية هى عمـارة نابعـة من الحـيز المحـيط بها ، أو تم توطينها فيه ، بالتالى فهى تحمـل داخلها وينطبـع على خـارجها سمـات وخلفيات هذا الحـيز ، حيث أنهـا توضـع وتوطـن على تلبية حـاجة مستعمليها والمتفاعلين معها ومشاهديها ، من حيث العادات والتقاليد والمعتقدات والنواحى الثقافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية إجمالاً .

إذن فعمليات العمران ذات التوجه الوطنى هى صياغات تعتمد على الاتجاه المباشر نحو الوطنية أو أنها تعتمد على التوجه إرادياً أو لا إرادياً نحو عملية التوطين جزئياً أو كلياً كما يلى تفصيله .

ـ دوافع التوجه للوطنية فى العمارة

إن الأسس والمقومات الداعية لقيام العمران هى من وجه آخر العوامل والمؤثرات الموجـهة لتكـوينه وتشكيل ملامح وسمـات العمـارة والعمـران، كما أنها تمثل مقياساً ثابتاً نسبياً لمدى نجـاح المفـردات العمـرانية فى التوافق والتناغم مع مستعمليها .

كلما أخفق المنتج المعمـارى والعمـرانى فى التوافق مع البيئة المحيطة وظروفها المختلفة كلما عظم الحـافز وازداد للاتجاه نحو التشكيلات التاريخية والمحلية ، والتى تمثل تجسيداً حقيقياً لوجه البيئة التى نبت منها هذا العمران فى صورة رائعة التوافق والإنسجام مع هذا الوجه. يمكن تقسيم تلك المحفـزات والدوافـع الجـاذبة إلى العـودة إلى الأصـول والاستقاء منها ومحـاولة الانسجـام معها والتأكيد عليها إلى مجمـوعتين رئيسيتين كما يلى :

ـ المجموعة الأولى : الدوافع البيئية الطبيعية

الظروف والمحددات البيئية والطبيعية دوراً هاماً فى توجيه العمران وتحقيق التوافق بينه وبين الوسط الحاوى له وبالتالى مع مستعمليه حيث أنهم متأثرين ومتوائمين بالقطـع مع تلك الظـروف وبالتالى فـإن تنـافر العمـران مع البيئة أو المستعملين هو بالقطع تنافر مع المنظومة ككل :

ـ يمكن تحديد الدوافع البيئية الطبيعية فى ما يلى :
(التواؤم مع المناخ ـ الموقع الجغرافى ـ الطبيعة الجيولوجية ـ المحددات الطبوغرافية ـ الخامات الطبيعية)

ـ المجموعة الثانية : الدوافع الحضارية

فطر الله عز وجل الانسان على غرائز رئيسية ، فلا يتحقق وصف الآدمى بالانسانية إلا بها ، هذه الغرائز هى ذاتها دوافع قيام الحياة واستمرارها وما بها من أنشطة وممارسات. فلا إنسان بلا معتقدات ولا احتياجات، هذه المعتقدات هى المتحكمة فى حياته، والمنظمة لاحتياجته، والدافعة لها أيضاً، وتلك الاحتياجات هى الدافعة والمحفزة على استمرار الحياة والتكاثر والمعاملات .

وبما أن العمران هو الحاوى لكل ذلك فيتحتم أن يكون العمران ومفرداته أو مكوناته محترماً لعقائد مستخدميه الدينية والثقافية أو ربما مؤكداً عليها وداعياً إليها .

كما يجب أن يتلائم مع احتياجاتهم ومعملاتهم وأنشطتهم وممارساتهم على كل المستويات ، وكلما نجح العمران فى ذلك وتوائم معه كلما زادت خصوصيته ، وبرزت شخصيته ، وملامحة الخاصة ، حيث أن تفرده يأتى من طبيعة تفرد أى مكان عن الآخر ، وكلما ابتعد العمران عن أداء هذا الدور كلما ازدات الحاجة وعظمت المطالبة الإرادية واللاإرادية بالعودة إلى القيام بهذا الدور الأساسى الذى يقوم عليه العمران فى الأصل ، حيث تؤكد جميع المظاهر العمرانية التراثية فى شتى بقاع الأرض ، إن الأصل فى قيام العمران هو تلبية وإظهار الاحتياجات والغرائز الانسانية ، المتمثلة فى الكيان الانسانى الجمعى للمتعاملين مع هذا العمران على كل مستوياته ، والتى هى ذاتها المحفزات والدوافع الانسانية المستهدفة لقيام هذا العمران وصياغة ملامحة وشخصيته وربطه بأصوله .

تشمل هذه الدوافع والمحددات ما يلى :
(المعتقدات الدينية ـ الروابط الاجتماعية ـ التوجهات السياسية ـ الامكانيات الاقتصادية ـ الأدوات والآليات التكنولوجية ـ الثقافة السائدة)

تمثل العوامل الطبيعية الإطار المادى المحيط بالانسان ، وبالتالى بالعمران ، وبما أن العمران هو الوسط الأكثر خصوصية أو المستوى الأخص من البيئة بالانسان ، فإنه بالتالى يعتبر العامل الوسيط بين الانسان والبيئة ، وبذلك يجب أن يقوم بدور الاحتواء للانسان وبتوافق متبادل بين المتفاعلين (الإنسان والبيئة).أى أن العمران يجب أن يطوع للظروف البيئية للإنسان ، وفى الوقت ذاته يعمل على التواجد الانسانى فى البيئة المحيطة بحميمية وتفاعل دون التسبب بأضرار توجب التضاد والتنافر. وهو ما يستوجب تحقيق معادلة صعبة ، تقتضى أن تكون القرارت العمرانية وما ينتج عنها من مجسدات مراعية تماماً للمحددات المتمثلة فى ، المناخ ، والموقع ، الجغرافى ، ومكوناته الجولوجية ، وطبوغرافية الموقع ، المتمثلة فى مجموعة من التضاريس الموجودة ، ومواد البناء المتاحة فى الموقع ، أو التى يتقبلها الموقع كمدخلات حميمة. وعند حدوث خلل فى أى من تلك العوامل فإنه وبالاعتماد على الطبيعة البشرية وخاصة الناحية النفسية الانسانية منها فدائماً ما يتعاظم ذلك الخلل وينمو متحولاً إلى مشكلة عامة متراكبة المراحل، تحتاج إلى إعادة بناء وهيكلة الخطط للوصول إلى حل .

ثم تتولد موجات ومراحل تطوير جديدة ، ويبدأ الانسان وبالاخص المعمارى فى هذه الحالة بالانطلاق نحو توجهات فكرية ، هدفها الحل ، وإعادة التناغم بين أطراف ومكونات النسيج العمرانى ، أو أطراف المنظومة (البيئة ــ العمران ــ الانسان) ، ينتج عن هذا التفاعل مفرزات تعبر عن بعض التوجهات أو الحلول التى يمكن تميزكل منها كاتجاه مختلف.

بالتالى فإنه غالباً لن ينتج من التفاعل الحقيقى لكل تلك الأطراف والظروف والمحددات إلا عمران خاص مستحدث ، وشديد الخصوصية بالموقع أو البقعة التى يجرى فيها التفاعل ، حيث أن الحل هو موائمة ومحاولة احداث انسجام بين مجموعة من المتغيرات ، التى من الصعب إن لم يكن مستحيلاً أن تكون متطابقة مع غيرها ، حيث أن الدراسات البيئية والطبيعية والانسانية أثبت إستحالة تكرار هذه المتغيرات من بيئة لأخرى .

أفرزت هذه الحلول على مر الزمان العديد والعديد من المفرزات، تاركة الكثير من المنتجات، التى تم تصنيفها كاتجاهات متنوعة من حيث توجهات معماريوها، وخاصة أن نتاجها تفاوت بين القمة والقاع، من هذه التوجهات والمحاولات ما أفرز عمراناً ناجحاً فى حل معادلة المنظومة الثلاثية، أو اقترب من النجاح . ومنها ما أفرز عمراناً زاد الأمر سوءاً، وذلك بسبب إما التناول السطحى أو التناول المنعزل، أو الالتزام بالموروثات والتقيد المبالغ فيه بمفرداتها، الذى لا يمكن أن يفضى إلى إحداث موازنة بين أطراف المعادلة ، حيث أن التقدم والتطور الحياتى وبالتالى تطور الاحتياجات حقيقة ثابتة مستمرة .

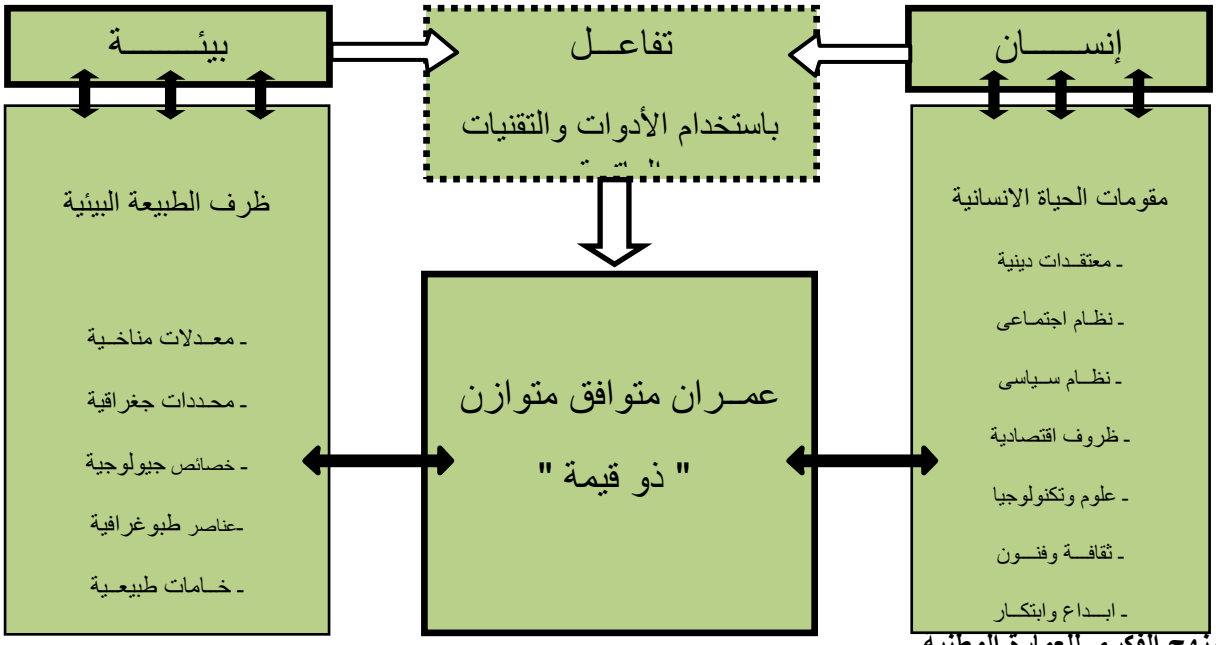

ـ المنهج الفكرى للعمارة الوطنيه

يتم رصد المنهج الفكـرى لعملية للممارسات المعمارية على المستوى الوطنى من خلال مجموعة من الأمثلة على مستويات عمرانية ودول وأقاليم مختلفة من العالم كما يلى :

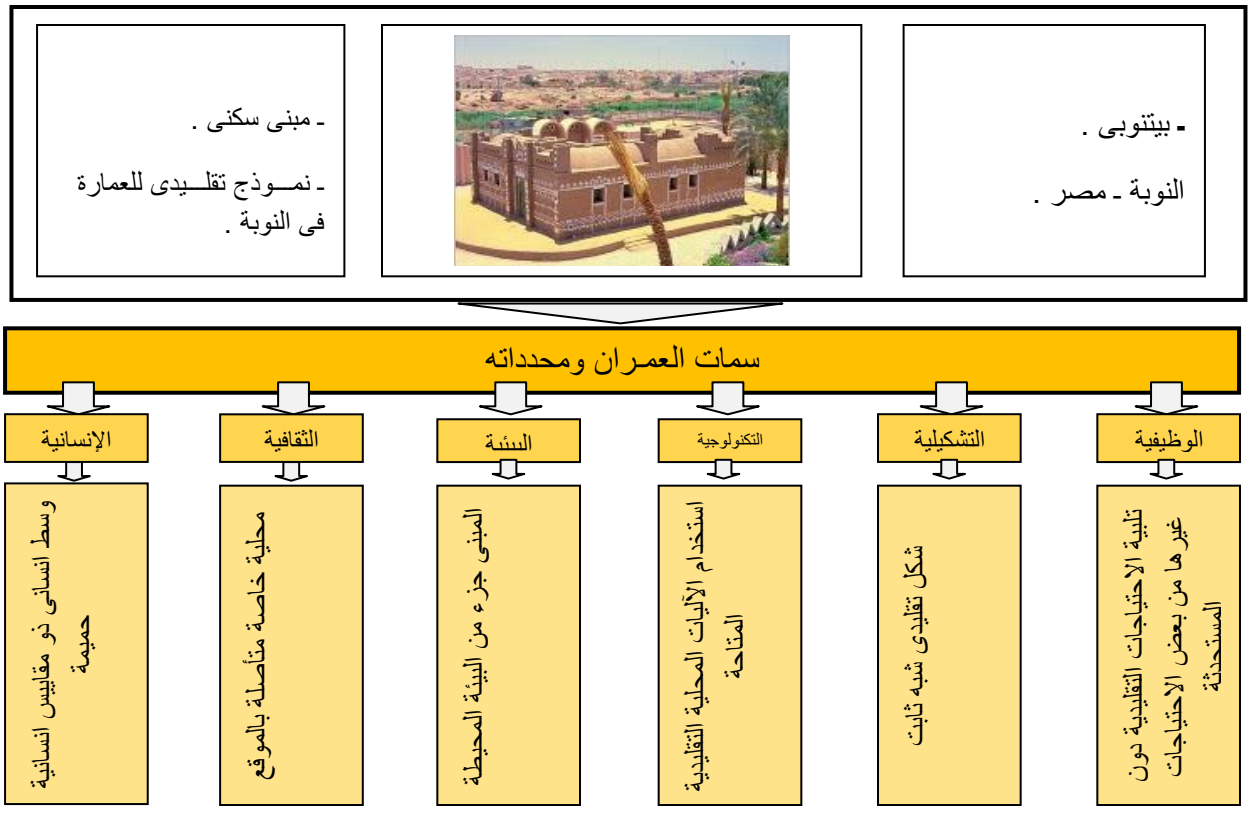

- منازل سكنية .

اليمن .

ـ أحد النماذج للعمران السكنى الشـائع فى اليمن على الطـراز التقليدى .

سمات العمـران ومحدداته

الوظيفية	التشكيلية	التكنولوجية	البيئية	الثقافية	الإنسانية
تلبية الاحتياجات الرئيسية التقليدية دون مواكبة نظريتها المستحدثة	عمران تقليدى محلى سائد	الاعتماد على التكنولوجيا التقليدية البسيطة المتاحة	مبنى نابع من البيئة ومتفاعل معها	تجسيد للثقافة المحلية السائده	موائمة البعد الانسانى الشائع والمتوافق مع محل العمران

- عمارة سكنية

اليابان .

ـ عمارة سكنية على الطراز الاسيوى .

سمات العمـران ومحدداته

الوظيفية	التشكيلية	التكنولوجية	البيئية	الثقافية	الإنسانية
محققة بالطرق التقليدية	محلى تقليدى نابع من ثقافة موطن العمران	استخدام الطرق التقليدية المتاحة	متفاعل مع البيئة المحيطة	تجسيد لثقافة وحضارة موطن العمران	ملائمة البعد الانسانى واحترامه إلى حد كبير

يتضح من الأمثلة السابقة وتحليلها ما يلى :
ـ المنهج الفكرى السائد أو الغالب لصياغة العمران الوطنى لإطارٍ محلي يتمثل فى الاتجاه نحو الافكار التقليدية السائدة ، التى تنبع من الموقع المحيط ، وتلائم الظروف المحلية بأنواعها ، ويمكّن تنفيذها من خلال الآليات التقليدية المتاحة ، مما يُنتج تشكيلاتٍ تقليدية .

من تحليل هذه المجموعة من الأمثلة ومدى تفاعلها وتعاملها مع الواقع العام وتصويرها للظروف المحلية الخاصة بها نجد أن لهذه الأنماط والتشكيلات الخاصة من السمات العمرانية ما يلى رصده فى الجدول التالى :

سمات العمران	المحددات
الوظيفية	سيادة أساليب وممارسات شديد الخصوصية تتمى للظروف السائد بمحل العمران بصرف النظر عن هوية المعمارى او المنفذين
التشكيلية	إستغلال العناصر والمفردات المحلية والتكنولوجية المتاحة والاكتفاء بها وتطويع العمران لامكانيتها
التكنولوجية	إستخدام الطرق والأساليب التكنولوجية المتاحة واستدعاء الاساليب التقليدية والاعتماد عليها
البيئية	معالجات طبيعية بيئية خاصة (المبنى وحدة من النسيج العمرانى والبيئى المحيط)
الثقافية	سيادة الكثير من الملامح الثقافية المختلفة النابعة من الثقافة الوطنية لمحل العمران
الإنسانية	ملائمة المستخدم المحلى المتمثل فى الإنسان ذو الحالة الخاصة والهوية الوطنية المحلية

من هذا الجدول يمكن إستنتاج أن التناول الفكرى للأعمال المعمارية أو العمرانية على المستوى المحلى ذو المحدداتوالطابع الوطنى يتم وفقاً للمنهج التالى :

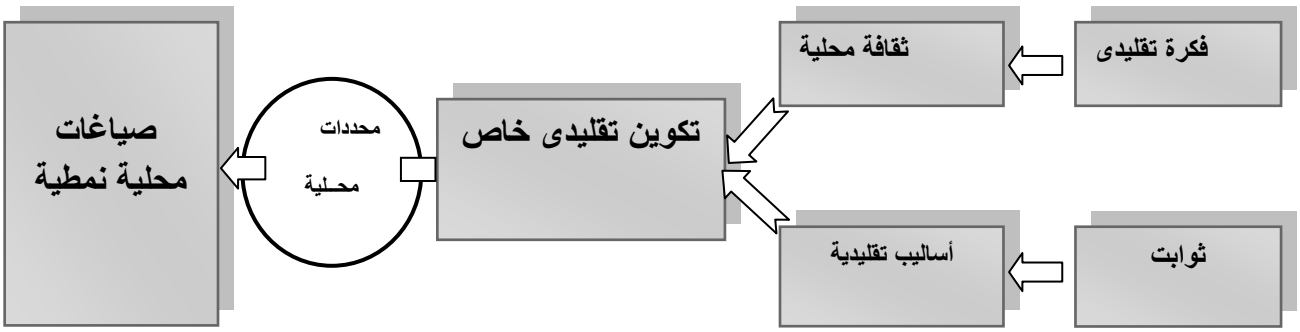

ـ الخلاصة

من المؤكـد أنه لا يمكن الحـكم على هذه التشكيلات والعناصر من العمـران بالجودة المطلقة أو السـوء مطلقاً، حيث توفر مثل هذه الأنمـاط والطـرز من العمـران وسـط شديد الخصـوصية والملائمة لمستعمليه ، إلا أنها فى ذات الوقت تتسبب أحـياناً فى اتسـاع الفجـوة بين المجتمعات أو الوحـدات المجتمعية شـديدة الخصـوصية وبين المجتمع العـالمى الذى لا يمـكن الانفصـال عنه فى إطـار التطـور التكنولوجى الضرورى لاستمرار حياة المجموعات البشـرية فى سباق البقاء العالمى الطاحن .

حيث يحتاج الحفاظ على هذه الخصوصية المحلية وهويتها الوطنية إلى منهج يمكن اتباعـه لتحقيق لذلك ، مع الحيلولة دون كـون ذلك الحفاظ أحد عواق التطور والتقدم أو التنازل عنها لما يتبعه من فقد ميزات الهوية والخصوصية التى يلزم الحفاظ عليهما لبقاء التوازن الانسانى الفطرى على مستوى العالم .

ـ التوصيات

ـ المنهج الفكرى السائد أو الغالب لصياغة العمران الوطنى لإطارٍ محلىٍ ما هو إلا الاتجاه نحو الافكار التقليدية السائدة ، التى تنبع من الموقع المحيط ، وتلائم الظروف المحلية بأنواعها ، ويمكّن تنفيذّها من خلال الآليات التقليدية المتاحة ، مما يُنتج تشكيلاتٍ تقليدية .

ـ يتوجب على المعمارى المؤدى لعمل معمارى على كلا المستويين المحلى أو العالمى أن يستولد فكرة مبتكرة نابعة من محل العمل ، مدعومة بالثقافة المحلية والتكنولوجيا العالمية ، بحيث يصل من خلالهما إلى تكوين محلى ملائم ومتطور تكنولوجيا .

ـ يجب الارتقاء عموما بحرفية المهنة وتنمية القدرات الفكرية والابداعية وتطوير العلوم والمعرفة والعمل على تحقيق اعلى درجات الجودة لصناعة معمارى متميز له القدرة على العمل فى ظل الظروف العالمية السائده من خلال فهم وادراك للظروف المحلية المحيطة لانتاج عمران تقدمى متوافق .

ـ المراجع /

١ ـ د/ ألفت يحى حمودة : الطابع المعمارى بين التأصيل والمعاصر ـ الدار المصرية اللبنانية . القاهرة

٢ ـ م/ خالد على يوسف : العمارة المعاصرة والمردود الفكرى والتطبيقى على العمارة الصرية . قسم العمارة ـ كلية الهندسة ـ جامعة أسيوط .

٣ ـ م/ حسن فتحى :العمارة العربية الحضارية بالشرق الأوسط ـ محاضرة ـ جامعة بيروت العربية.

٤ ـ م/ صقر مصطفى محمود: أنسنة العمارة ، رسالة دكتوراه ـ قسم العمارة ـ كلية الهندسة ـ جامعة القاهرة، 2006.

٥ ـ م/ حسن فتحى: لقاء فكرى وندوة علمية ـ ندوة ـ كلية الفنون الجميلة ـ جامعة حلوان . القاهرة .

٦ ـ موقع الانترنت : مدونة عالم الابداع.

٧ ـ موقع الانترنت : http://ar.m.wikipedia.org

٨ ـ موقع الانترنت : http://www.almousa.net/offers – 9\2017

8ـ موقع الانترنت : www.abunawargroup.nethhttps:// – 9\2017

9ـ موقع الانترنت : www.ebaumsworld.com hhttps:// – 11\2017